مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٣٢)

تداوليات حروف الجر في العربية الحديثة

"عصفور من الشرق نموذجاً"

إعداد

د / وفاء عباس الحويت

أستاذ مشارك قسم اللغة العربية -كلية الآداب

جامعة الملك عبد العزيز - جدة

السنة ٢٨ العدد (١١١) اكتوبر ٢٠١٧م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تداوليات حروف الجر في العربية الحديثة

"عصفور من الشرق نموذجًا"

د/ وفاء عباس الحويت

أستاذ مشارك قسم اللغة العربية -كلية الآداب – جامعة الملك عبدالعزيز – جدة

فكرة البحث ودواعيه:

تنحصر فكرة البحث في دراسة الاستعمالات المختلفة لحروف الجر في اللغة العربية الحديثة من خلال الوارد من هذه الحروف في رواية (عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم، بوصفها نصًا لغويًا يمثل العربية الحديثة.

دواعي البحث ومرتكزاته:

ينطلق البحث من مجموعة من الدواعي والأسباب التي دفعت إلى تناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل؛ تلك الدواعي التي تعد -في الوقت نفسه- منطلقات، أو مرتكزات يستند إليها، ومنها:

١- الدور النحوي التركيبي لحروف الجر في اللغة العربية، ويتضح هذا الدور في عدة جوانب، منها: التشكيل اللغوي، والربط بين عناصر الجملة، وما ينشأ عن هذا الربط من علاقات تركيبية ودلالية، والإفصاح عن كثير من المعاني الدقيقة بين الجمل، ومنها: ما يحتله تركيب الجار والمجرور من أهمية في الرتبة، أو الموقعية بين عناصر الجملة، ومنها -وهذا أهم- وضوح هذه الأدوار كلها في الرواية المختارة، والإفصاح عن كثافة المعنى، وطبقاته.(١)

٢- انتماء حروف الجر إلى قسم من الأقسام العامة للكملة والكلام، وهو قسم الحرف، أو الأداة، مما يعنى أن الدلالة المستفادة منه دلالة وظيفية، متعددة، ومحتملة خارج السياق، أو الموقف الاستعمالي التداولي.

٣- بروز فروق واضحة في استعمال حروف الجر بين ما ورد إلينا من عربية عصر الاحتجاج، والعربية الحديثة التي تنتمي إليها الرواية، الأمر الذي يشير إلى تغير لغوي ملموس في العربية الحديثة موازنة بعربية الاحتجاج، أو الاستشهاد.(٢)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- وضوح سمة الاتساع في اللغة العربية، وما ترتكز عليه من مبادئ توليدية كالاشتقاق، والإعراب، والتضمين، وما ينشأ عن تلك من منطلقات معنوية دلالية، كالتعدد والاحتمال في المعنى الوظيفي والمعجمي، والتفاعل الملموس بين اللفظ والمعنى، وأثر ذلك في التضمين، والحمل على المعنى.(٣)

٥- المكانة الأدبية والفكرية واللغوية للكاتب توفيق الحكيم، وإسهاماته الواضحة في تطور الرواية العربية.

٦- الشهرة الواسعة لرواية (عصفور من الشرق)، وكونها مكتوبة بعربية فصيحة عذبة رائقة المذوبة.(٤)

الإطار العام للبحث، ومنهجه:

يتحدد الإطار العام للبحث زمانيًا في دراسة استعمالات حروف الجر في اللغة العربية الحديثة، تلك العربية المستعملة منذ بداية العصر الحديث في القرن التاسع عشر، وازدهارته في النصف الأول من القرن العشرين.

ويتحدد مكانيًا في عموم الوطن العربي، ولا سيما مصر، التي نهضت وتنهض بالعربية.

ويتحدد لغويًا بالاستعمالات الواردة لحروف الجر في رواية (عصفور من الشرق)، وما يتبع ذلك من استشهادات واقتباسات، ونصوص دالة وكاشفة عن بعض الآراء والمعالجات داخل البحث.

هذا هو الإطار العام للبحث، أما منهجه فيتحدد في رصد الاستعمالات الواردة لحروف الجر في الرواية، وجمعها، ودراستها من منظومها التركيبي، ومنظورها الدلالي، ومتحركها التداولي، انطلاقًا من تحديدات التداوليين الأوائل، وخصوصًا تحديدات تشارلز بيرس، وشارل موريس(٥) اللذين جعلا التداولية على قمة الهرم السيموطيقي، أو العلاماتي، ومن قبله المستويان التركيبي والدلالي.

وبوفاء لهذا المنهج فإن البحث يتناول حروف الجر الواردة في الرواية بالرصد، والجمع والتحليل والتصنيف حسب المعاني، والدلالات المستفادة من كل حرف مستعمل في الرواية؛ مما يجلي الملامح الخطوات التالية:

١- رصد المستعمل من حروف الجر كما ورد في الرواية، مع الاكتفاء بذكر مثالين، أو ثلاثة، عند كثرة استعمال الحرف، وتكرار وروده، وإذا ورد له -في دلالة بعينها- استعمالواحد، أو استعمالان فإن البحث يرصده، أو يرصدهما، ويسجل بعد كل مثال رقم الصفحة الوارد فيها المثال بين قوسين تيسيرًا وتلافيًا لكثرة الإحالات والهوامش.

٢- رصد الخطوط العامة لتراكيب حروف الجر، ورصد مدخولات هذه الحروف بذكر مجرورها، وبيان الطبيعة التركيبية والمعجمية له.

وقد اكتفى البحث بسرد النماذج العامة لمجرور الحرف (إلى) بوصفه نموذجًا عامًا لكل حروف الجر ومدخولاتها، مع ذكر رقم الصفحة بعد كل مثال حسب المنهج المتبع.

٣- رصد الدلالات الوظيفية والتداولية الواردة لكل حرف مستعمل في الرواية من خلال السياقات العامة للرواية.

٤- تحليل كل ما سبق، ودراسته من جوانبه التركيبية والدلالية والتداولية، مع الإشارة إلى الظواهر البارزة في هذه الجوانب، من حيث الأصالة أو الفرعية، والمستمر في الاستعمال من هذه الحروف أو المختفي منها، وغير ذلك من مسائل.

هذا هو المنهج أو الطريقة التي سيتبعها البحث في هذه الدراسة، وسوف يتضح أكثر وأكثر من خلال المحاور الآتية:

المحور الأول: حروف الجر المستعملة في الرواية.

ذكر النحاة كثيرًا من حروف الجر التي رصدوا استعمالاتها الواردة في عربية الاحتجاج، أو العربية الفصحى في عصور الاستشهاد، وقد بلغ ما رصدوه عشرين حرفًا زاد عليها سيبويه حرفًا، وهو لولا، نصوا على استعمال بعضها في لهجة بعينها، أو في أسلوب بعينه، ويفهم من كلامهم أن بعضها الآخر قد استعمل بكثرة في فصحى الاحتجاج، وما زال مستعملاً بكثرة في الفصحى العربية الحديثة؛ الأمر الذي يشير إلى اتصاف العربية بسمات المحافظة، والثبات النسبي، والاستمرار الاستعمالي عبر العصور مع اتساعها، وحيويتها الدائمة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحروف الجر التي ذكرها النحاة هي: من، وإلى، وحتى، وخلا، وحاشا، وعدا، وفي، وعن، وعلى، ومذ، ومنذ، ورُبَّ، وكي، واللام، وواو القسم، وباؤه، وتاؤه، والكاف، والباء، ولعل، ومتى، و(لولا) على رأي سيبويه.

أما الرواية -عصفور من الشرق- فقد استعمل فيها من الحروف السابقة أحد عشر حرفًا، هي: (إلى، والباء، وحتى، وعدا، وعلى، وعن، وفي، والكاف، واللام، من، ومنذ).

ويعني ذلك أن الرواية اقتصرت على النصف فقط مما ذكره السابقون إذا عرفنا أن الحرف (عدا) ورد في مثال واحد، وكان وروده محتملاً كلا الوجهين، عامل الجر، وعامل النصب، فمن المعلوم أن عدا وخلا وحاشا إذا وردت بدون (ما) احتمل مدخلها الجر على أنها أحرف جر، واحتمل النصب على أنها أدوات استثناء، وهو مفعول به.

كما أن الأحرف الباقية لم تكن على وتيرة واحدة من الورود والاستعمال في الرواية؛ فبعضها ورد قليلاً، ودلالاته الوظيفية قليلة كذلك، مثل: حتى، والكاف، ومنذ، أما بعضها الآخر فورد كثيرًا، واستعمل في دلالات وظيفية كثيرة أيضًا، مع التنبيه إلى أن دلالات كل حرف منها تفاوتت بين الكثرة والقلة.

تبقى نقطة واحدة قبل الوصول إلى الموازنة بين الوارد في عربية الاحتجاج، والوارد في لغة الرواية من حروف الجر، وملخصها أن المستعمل في الرواية ليس حصرًا لكل المستعمل من حروف الجر في العربية الفصحى الحديثة، وإن كان يدل، و(يؤشر) إلى الغالب في الاستعمال بصفة عامة.

وفي سياق الموازنة بين الاستعمالات التراثية والحديثة لحروف الجر يمكن القول: إن العربية الحديثة اكتفت باستعمال بعض الحروف دون بعض؛ للاشتراك في الوظيفة التركيبية والدلالية، مثل: باء القسم دون تائه ، وواوه، ومثل: اللام الداخلة على (ما) الاستفهامية دون (كي)، ومثل: الاكتفاء بـ(منذ) دون (مذ).

أما متى ولعل الجارَّتان؛ فهما استعمالان لهجيان اختفيا باختفاء الذين كانوا يستعملونهما من قبيلتي هذيل وعقيل، كل ما سبق يندرج ضمن تغيير الاستعمال، واتجاه التطور اللغوي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحور الثاني: مدخولات حروف الجر.

تكمن أهمية التعرض لهذه المسألة من عدة جوانب، أولها: الكشف عن طبيعة مدخولات هذه الحروف، ومقتضياتها؛ تمهيدًا للموازنة بين عربية الاحتجاج، والعربية الحديثة، وثانيها: التأثير التركيبي والدلالي بين حرف الجر وما يدخل عليه، اسمًا ظاهرًا، أو ضميرًا، أو مصدرًا مؤولاً.

وعلى الرغم من كثرة الأمثلة المذكورة في الجزء التالي من البحث الذي يتعرض بالتفصيل لحروف الجر المستعملة، ووظائفها الدلالية والتداولية في الرواية، .. على الرغم من ذلك لا بأس من سرد الأنماط العامة والنماذج المتعددة لهذه المدخولات، أو المجرورات؛ فقد خصَّت اللغة العربية حروف الجر بالدخول على قسم بعينه هو الأسماء، دون الأفعال، أو الحروف.

ومن المعرف أن الأسماء تتنوع نماذجها، وتكثر أنماطها في اللغات بصفة عامة؛ لكونها موضوعة في هذه اللغات للدلالة على الذوات، والأشياء، والمعاني المجردة، والدلالة كذلك على الأحداث المجردة من الزمن، وتزداد هذه النماذج كثرة وتنوعًا في اللغة العربية؛ لأنها لغة اشتقاقية، تكثر فيها المشتقات الاسمية من أسماء فاعلين ومفعولين وغير المشتقات كالمصادر، وفيها كذلك ما يسمى المصدر المؤول.

ويقف هذا النوع قسيمًا للفعل، والحرف الذي يربط بين النوعين -الاسم والفعل- أو يربط بين الأنماط الداخلية للاسم، وتأتي حروف الجر على قمة هذه الروابط؛ السياقية، بمعانيها التداولية التي تدل عليها.

وقد حدد النحاة مدخولات بعينها لبعض حروف الجر، فذكروا أن منها ما لا يجر إلا الظاهر[٦]، ومنها ما لا يجر إلا الضمير[٧]، ومنها ما يجر لفظًا بعينه[٨]، أو لا يجر إلا النكرات من الأسماء[٩]، وهكذا.

وإذا ما تأملنا مدخولات حرف جر بعينه، واتخذناه ممثلاً لبقية حروف الجر، وليكن الحرف (إلى)، وجدناه يدخل على الأنواع الآتية من الأسماء، ويعمل فيها الجر، ويربطها بما قبلها في الجملة:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- الاسم الجامد: سواء كان نكرة، أم معرفة، مفردًا أم مثنى أم جمعًا، مذكرًا أم مؤنثًا.

مثل:

- لا تتجه إلى شيء بعينه. (٢٢)
- أشارت إلى القفص. (٧٣)
- رفع الكوب إلى شفتيه. (٩٧)
- انصرفت المرأة إلى الأواني. (٢٨)

٢- الاسم المشتق: سواء كان عاملاً أم غير عامل، مستعملاً في الوصف أم مستعملاً كالجامد .. مثل:

- نظر إلى والديه. (٣٠)
- التفت إلى صديقه. (١٤)
- التفت إلى محسن. (١٤٣)
- أشار إلى المسرح. (٤٢)
- تحدب العظمة إلى أبعد الحدود. (٣٣)
- استندت إلى مكنستها. (٤١)

- هلم إلى المنبع. (١٤٣)
- جذبه إلى مظلة قهوة ... (٨)
- جلس إلى مكتبه. (٧٤)

- الضمائر

- أقدمه إليك. (٥٦)
- ينظرون إليَّ. (١٦)
- مدت يدها إليه. (٥٧)
- أحضر إليها الصحيفة. (١٠١)

٤- أسماء الإشارة:

- أصحب مثلك إلى هذه النزهة. (٩)
- يطيل النظر إلى هذا الباب. (٣٩)

٥- أسماء الاستفهام وبعض الظروف:

- إلى أين؟ (٤٣)
- مشى في بطء إلى حيث يجلس محسن. (٢٢)
- هلم .. إلى هناك. (١٤٣)

٦- اسم المعنى، أو المجردات:

- ثابت العجوز إلى رشدها. (٥٢)
- يصل إلى عقليتها. (١٣٨)

٧- المصادر، والأحداث:

- إلى اللقاء. (٥٢)
- عاد الفتى إلى الأكل. (١٠٠)
- إلى العمل. (١٤٣)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- **الاسم الجامد:** سواء كان نكرة، أم معرفة، مفردًا أم مثنى أم جمعًا، مذكرًا أم مؤنثًا، مثل:

- لا تتجه إلى شيء بعينه. (٢٢)
- أشارت إلى القفص. (٧٣)
- رفع الكوب إلى شفتيه. (٩٧)
- انصرفت المرأة إلى الأواني. (٢٨)

٢- **الاسم المشتق:** سواء كان عاملاً أم غير عامل، مستعملاً في الوصف أم مستعملاً كالجامد .. مثل:

- نظر إلى والديه. (٣٠)
- التفت إلى صديقه. (١٤)
- التفت إلى محسن. (١٤٣)
- أشار إلى المسرح. (٤٢)
- تحدب العظمة إلى أبعد الحدود. (٢٣)
- استندت إلى مكنستها. (٤١)

- هلم إلى المنبع. (١٤٣)
- جذبه إلى مظلة قهوة ... (٨)
- جلس إلى مكتبه. (٧٤)

- **الضمائر**

- أقدمه إليك. (٥٦)
- ينظرون إليَّ. (١٦)
- مدت يدها إليه. (٥٧)
- أحضر إليها الصحيفة. (١٠١)

٤- أسماء الإشارة:

-أصحب مثلك إلى هذه النزهة. (٩)
- يطيل النظر إلى هذا الباب. (٣٩)

٥- أسماء الاستفهام وبعض الظروف:

- إلى أين؟ (٤٣)
- هلم .. إلى هناك. (١٤٣)
- مشى في بطء إلى حيث يجلس محسن. (٢٢)

٦- اسم المعنى، أو المجردات:

-ثابت العجوز إلى رشدها. (٥٢)
- يصل إلى عقليتها. (١٣٨)

٧- المصادر، والأحداث:

-إلى اللقاء. (٥٢)
-عاد الفتى إلى الأكل. (١٠٠)

-إلى العمل. (١٤٣)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٨- المصدر المؤول، من أنْ والفعل، أو من أنَّ واسمها وخبرها:

-تابعها .. إلى أن بلغت سلم المترو. (٥١)

-لست في حاجة إلى أن تتبع أحدًا. (٦٧)

-فطن الفتى إلى أن هناك نوعًا من الهناء. (١١٨)

نستنتج مما سبق كثرة النماذج والأنماط التي تدخل عليها حروف الجر، مما يعني تنوعًا تركيبيًا، وثراء دلاليًا، واتساعًا في الاستعمال التداولي لتراكيب الجار والمجرور، ويزيد من أهمية هذا التركيب، ومن قيمة الربط فيه بين الجار والمجرور من ناحية، وبينهما وبين بقية عناصر الجملة من ناحية أخرى، أمران واضحان في لغة الرواية، وهما: التنوع

المعجمي داخل النمط الاسمى الواحد بعد حرف الجر المعين، واتساع الدلالة الوظيفية لما يسمى الحقيقي والمجازي، أو المادي والمعنوي.

ويتضح الأمر -وهو التنوع المعجمي- من تأمل اللفظة المعجمية الدالة على (الغاية) المكانية أو الزمانية والمدلول عليها بحرف الجر (إلى) الداخل على هذه اللفظة، أو الاسم؛ فقد دل هذا الاسم على (ذات)، أو على (معنى)، وذلك على التصنيف الآتي:

أولاً- المجرور الدال على (ذات):

١- الذات كائن حي، قد يكون إنسانًا، أو غير إنسان، كما يلي:

أ) إنسان، مثل: التفت إلى محسن. (١٤٠)، يلتقت إلى طفل في الرابعة. (١٧)

ب) جزء إنسان، مثل: تطلع إلى وجه الشاعر. (٧)، .. يده من جيبه إلى فمه.(٧)

ج) شيء متصل بإنسان: تقوم إلى قبعتها. (١٩)، ينظر إلى ملابس الفتى، ...، إلى حذائه الأسود. (٩)

٢- الذات مكان، وما يتصل به:

-جهة، أو جانب بعينه، مثل: غادرها إلى جانب آخر من الميدان. (٧)، خرج إلى الطريق. (٥٠)، يتبعني صاغرًا ... إلى أقاصي الأرض. (١٠)

-مكان محدد، أو شبه محدد: مطر ... ألجأ الناس إلى مظلات المشارب والحوانيت وإلى الحيطان. (٧)، وقعت في الماء الجاري إلى البلاليع. (٨)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيًا- المجرور الدال على معنى:

١- المعنى مطلق حدث، أو معنى بعينه:

٢- المعنى دال على زمن:

وتتأكد هذه الفكرة، ويتعمق مفهومها إذا ضممنا تنوع مجرور (منذ) إلى ما سبق؛ فعلى الرغم من الدلالة على ابتداء الغاية في الزمان .. إلا أن هذا الزمان متنوع ومتعدد ومتسع باتساع الأزمنة التي تتداول فيها سياقات المجرور بـ(منذ)، ذلك المجرور الذي يبدأ من لحظة، وقد يمتد إلى سنين وآماد، كما يظهر فيما يلي:

١- ... منذ تلك الليلة.(٨)

٢- ... منذ اليوم.(٥٨)

٣- ... منذ قليل.(٣١)

٤- ... منذ أسبوع.(٣٥)

٥- ... منذ شهرين.(٢٠)

٦- ... منذ مجيئه.(٨٨)

٧- ... منذ عهود قريبة.(١٣٥)

٨- ... منذ عام.(٢٦)

٩- ... منذ زمن طويل.(٥٧)

١٠- ... منذ أمدٍ بعيد.(١٢٤)

المحور الثالث: التحليل والموازنة.

يعتمد التحليل لاستعمالات حروف الجر في رواية (عصفور من الشرق) على التناول التداولي - كما رسمه بعض مؤسسيه، أمثال (بيرس) و(موريس)؛ لمناسبته الموضوع واقترابه كثيرًا من الدرس النحوي القديم لهذا الموضوع.(١٠)

حدد (تشارلز بيرس) و(شارل موريس) جوانب السيموطيقيا، أو العلاماتية، ومن أهمها العلامة اللغوية، في ثلاثة مستويات تحليلية، هي:(١١)

١- مستوى النحو، أو التركيب: ويتعلق بتحليل الكلمة ودرها في بنية الجملة، أو تركيبها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- مستوى الدلالة: ويتعلق بتحليل المعنى المستفاد من العلامة اللغوية، كما سجلته اللغة في منظورها الثابت، أو الوضعي.

٣- مستوى التداول: ويتعلق بالمعاني والدلالات المستفادة من العلامة اللغوية حال استعمالها في موقف، أو مقام بعينه.

إذن حاول الرجلان التفريق بين ثلاثة مجالات، أو مستويات، في دراسة اللغة، هي:

١- المجال التركيبي، أو المستوى النحوي الذي يتعلق بالقواعد التي تضبط الصحة النحوية للكلام.

٢- المجال الدلالي الذي يتعلق بإشارة الكلمات إلى معانيها في مواضعات اللغة بعيدًا عن سياق الاستعمال.

٣- المجال التداولي الذي يتعلق بالمعاني المستفادة من الاستعمال الموقفي أو المقامي للغة.

٤- وتأتي مناسبة هذا التحليل لما نحن فيه؛ من ناحية أن حروف الجر لها مظهر تركيبي واضح، يتحدد في الربط بين عناصر الجملة، إذ تربط الأسماء بالأسماء، أو الأسماء بالأفعال، وتجر الاسم الذي يليها، كما أن كل حرف من هذه الحروف يؤدي معنى نحويًّا وظيفيًّا يعدّ الأصل في دلالات هذا الحرف، كإفادة الحرف (مِنْ) ابتداء الغاية، وإفادة (الباء) الإلصاق، وإفادة (اللام) المِلْك واستحقاق الشيء، .. وهكذا.

٥- فهذه المعاني كلها وظيفية، أي تعبر عن معنى هذه الحروف داخل التركيب اللغوي الذي ترد فيه، وهذا معنى قول القدماء العبقري: إن الحرف كلمة لا يظهر معناها إلا مع غيرها[١٢]، فمعنى الحرف هو وظيفته الدلالية داخل الجملة، وهذه الوظيفة الدلالية تناسب المستوى الدلالي بمفهوم (بيرس) و(موريس)، وتناسب أصل الوضع بتعبير القدماء.[١٣]

٦- واتفق معظم القدماء[١٤] على أن لحرف الجر دلالات أخرى كثيرة تستفاد من السياق، وتتعدّد الدلالات بتعدد السياقات، والمواقف الاستعمالية، وتختلف من نص لآخر، وهذه المعاني الاستعمالية -على الرغم من كونها جميعًا وظيفية تتبع من التركيب- تناسب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المستوى التداولي بمفهوم (بيرس) و(موريس)، وتناسب كلام القدماء عن المعاني التي يفيدها حروف الجر -زيادة على معانيها الأصلية- بحسب السياق الذي ترد فيه.

٧- ذكرنا أن معظم القدماء اتفقوا على أن لحروف الجر دلالات عديدة، وقلنا: (معظم)؛ لأن بعضهم حدّد لكل حرف معنى واحدًا، وعلى رأس هؤلاء يأتي النحاة البصريون، في مقابل الكوفيين الذين يوافقون عموم اللغويين.

٨- ويتلخص رأي البصريين في القول بعدم نيابة بعض حروف الجر عن بعضها الآخر قياسًا، كما لا تنوب بعض حروف الجزم عن بعضها؛ لأن الحرف عندهم ليس له إلا معنى واحد، وما ورد من هذه الحروف دالاً على معنى غير معناه الموضوع له احتمل أحد أمرين؛ أولهما تأويله تأويلاً يقبله اللفظ، وثانيهما الذهاب به إلى التضمين، أي تضمين الفعل معنى فعل آخر يتعدى بذلك الحرف.(١٥)

٩- أما رأي الكوفيين فيتلخص في القول بنيابة بعض الحروف عن بعضها الآخر قياسًا؛ انطلاقًا من أن المعنى الملحوظ غير الوضعي مستفاد من أن بعض حروف الجر ينوب بعضها عن بعضها الآخر، واعتمادًا على كثير مما روي عن العرب، وعلى ما جاء في القرآن الكريم.(١٦)

١٠- وإذا تأملنا الرأيين السابقين وجدناهما متعاونين، ومتكاملين، ولا تعارض بينهما إذا طبقنا فكرة (بيرس) و(موريس) عن مستويات التحليل السيميوطيقي العلاماتي؛ إذ يتسق رأي البصريين مع المستوى الأول، والمستوى الثاني الخاصين بالتركيب والدلالة، ويتسق رأي الكوفيين مع المستوى الثالث الخاص بالتداولية والاستعمال؛ لأننا إذا اقتصرنا على النحو، أو التركيب وجدنا لحروف الجر وظيفة واحدة، هي الربط بين عناصر الجملة، وجر الاسم التالي لها، وإذا اقتصرنا على الدلالة الأصلية لحروف الجر وجدنا اللغة قد جعلت كل حرف منها يدل على معنى وظيفي محدد، كدلالة (إلى) على انتهاء الغاية، و(في) على الظرفية، و(على) على الاستعلاء، وهكذا.

١١- أما إذا نظرنا إلى الاستعمال، و(حركية) اللغة في المواقف والسياقات المختلفة وجدنا حروف الجر تتناوب المعاني، ويؤدي كل واحد منها دلالات وظيفية كثيرة وفق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السياقات اللغوية العديدة، والمقامات الاستعمالية المتجددة، وهذا يتفق مع المستوى التداولي.

١٢- ومع تقديرنا لرأي البصريين، وموافقتنا على صلاحيته لتعليم اللغة؛ لأنه قائم على مبدأ (توحد الأنظمة)، إلا أن البحث سيأخذ برأي الكوفيين؛ لأنه صالح لتحليل اللغة، ودراستها في واقعها الفعلي، ولأنه يتفق مع رأي عامة اللغويين، وأصحاب المعاجم، ويتفق مع رأي معظم المتأخرين من النحاة، ولأنه يعتد بطبيعة اللغة واستعمالها في المواقف المختلفة، ولأنه يتفق مع الاتجاه التداولي الحديث الذي ينظر إلى اللغة حال استعمالها.

لكل ما سبق يتطرق هذا المحور إلى النقاط التالية.

١- مستويات التحليل:

إذا انطلقنا مما سبق، وبدأنا التحليل في المستوى النحوي التركيبي أمكننا استخلاص الخطوط العامة الآتية:

- تنتمي حروف الجر إلى قسم الحروف الذي يقف بإزاء قسم الأسماء، وقسم الأفعال. (١٧)
- تنتمي حروف الجر إلى قسم الحروف المختصة بالأسماء؛ لأنها لا تدخل على الأفعال. (١٨)
- تدخل حروف الجر على الأسماء، وتجرها، وتربطها بما قبلها في الجملة، وهذا دورها التركيبي، أو النحوي.

أما المستوى الدلالي فيتضح من خلال المعنى الوظيفي الذي يفيده حرف الجر بصفة عامة، أو أساسية، وقد نص بعضهم على (أصالة) هذا المعنى، أو على كونه الأصل في الدلالة المستفادة من هذا الحرف، أو ذاك(١٩)، مما يعني أن بقية المعاني متفرعة عنه، أو أنها سياقية ترتد إليه.

ويأتي المستوى التداولي الذي يتضح من خلال الاستعمالات المختلفة باختلاف المواقف، والمتعددة بتعدد المقامات، وتكثر فيه المعاني التي يدل عليها كل حرف من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حروف الجر بحسب استعماله، وبحسب المستوى اللغوي المستعمال فيه، وقد يكون للعصر، أو الحقبة العربية المعينة دور في ظهور دلالة بعينها، ودور في اختفاء دلالة أخرى، بل إن طبيعة النص الذي يرد فيه حرف الجر قد يكون لها دور أيضًا.(٢٠)

وبتطبيق مستويات التحليل السابقة على حروف الجر نحصل على دراسة لغوية متكاملة لها، مستعينين في ذلك بما ورد من استعمالات تداولية في الرواية.

وقد سبق استعراض حروف الجر الواردة في الرواية، والتنبيه على ما لم يرد من هذه الحروف، كما سبق التمثيل لمدخولات هذه الحروف، وذلك في المحورين الأولين اللذين غطيا الجانب التركيبي أو المستوى النحوي، وهو المنطلق الأساس للدراسة الدلالية والتداولية، تلك الدراسة التي سيتكفل بها هذا المحور من خلال تحليل الدلالات الوظيفية الأصلية - مستوى الدلالة- وتحليل الدلالات السياقية الاستعمالية -مستوى التداولية- ويغطي المستويين معًا ما يقدمه البحث من نماذج وأمثلة لتداوليات حروف الجر ومعانيها، مع التعرض لبعض المسائل الفرعية، أو المساعدة في تعميق الدراسة وتوضيح الموازنة.

٢- استعراض المعاني التداولية في الرواية:

يذكر البحث هنا المعاني التداولية لكل حرف جر ورد استعماله في الرواية مبتدئًا بالمعنى الدلالي الأصل، أو الأساس الذي يفيده الحرف في الاستعمال اللغوي العام، وهو ما يمكن نسبته إلى (مستوى الدلالة) في التقسيم السابق.

ويسرد البحث الحروف الواردة في الرواية بمعانيها الدلالية والتداولية مع ترتيب هذه الحروف ترتيبًا ألفبائيًا، بادئًا بـ(إلى)، ومنتهيًا بـ(منذ).

أولاً- حرف الجر (إلى):

(١) انتهاء الغاية المكانية:

نزلت إلى المحطة (٥١)، أسرع إلى النافذة (٥٣)، هذا هو المعنى الأصلي للحرف، ويصدقه كثرة الورود في الرواية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢) انتهاء الغاية الزمانية:

احرص إلى الأبد على ريشك زاهيًا (٧٢)، سأبقى في العمل إلى ساعة متأخرة (٨٩)، تشير إلى ماضيه بأكمله (٢٠).

(٣) انتهاء الغاية مجازًا (معنويًا):

تاب إلى رشده بعد قليل (٥١)، ثابت العجوز إلى رشدها (٥٢)، ارتقى إلى جو آخر نه عبره (١١)، يطالع أفكارًا مختلفة من الإغريق إلى فولتير (٨٠).

(٤) الإلصاق:

جلس إلى مائدة المطبخ (١٧)، أجلسها إلى البيانو (١٨)، جلس إلى مكتبه في الظلام (٣٣).

(٥) التعليل:

دفعه حب الاستطلاع إلى أن يميل بجسمه ... (٦٣)، ليست في حاجة إلى أن تتبع أحدًا (٦٧).

(٦) بمعنى الباء:

لا يجد إلى جانبه حتى من يعزيه (٧٥)، وضعت مسكنها إلى جانب مسكنه (٤٨)، أنس أحدهما إلى الآخر (٦٤).

(٧) بمعنى عند:

حاول أن تقدمني إليه (٦١).

(٨) بمعنى في:

ينظر إلى وجهه المعذب (٧٨)، تطلع إلى وجه الشاعر (٧)، يثبت إلى الأرض هذه الصلة الطارئة (٥٧).

(٩) بمعنى مع:

تحدث إليها أكثر مما ينبغي (٧٤).

(١٠) بمعنى من:

جاء الغلام فطلب إليه شريحة من لحم الثور (٦٢).

(١١) بمعنى اللام:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تنبه إلى أمر مخيف (٨٠)، لم يفطن إلى كتبه المغلقة (٩٨)، همست إليه نفسه أن انطلق (٥١).

(١٢) بمعنى الزيادة والإضافة:

ألفى مطبخًا ... معدًّا ... من ....، ....، إلى أدوات لشواء اللحم (٥٣).

(١٣) بمعنى على:

استندت إلى مكنستها (٤١)، قفز إلى ساق جده (٢٧).

ثانيًا- حرف الجر (الباء):

(١) الاستعانة:

يصنع بيديه حذاء كاملاً (١٣٢)، كتب بالطباشير (١٨)، دخل بين هؤلاء القوم بالغش (٢١).

(٢) الإلصاق:

أ)المادي: وقف بباب الفندق (٥٥)، إن يديه كانتا ملطختين بالدماء (١٣).

ب) المعنوي: تتصل حياته بحياتها (٨٠)، يمسح وجهه بأعتاب النعيم (١١٢)، ما يجول بخاطرهم (١٢).

(٣) الظرفية:

ماذا بك؟ (١٤٦)، المسجد بحي السيدة (٩).

(٤) السببية (التعليل):

ضاق ذرعًا بأيامه (١٣٦)، تنمو باتصالها المباشر بالطبيعة (١٣٢)، ارتبك بهذا القمقم (١٢).

(٥) المعنوية: قال الروسي بقوة (٣٤).

(٦) التعدية:

قذف الرجل بالبلح من يده (١٢٨)، رمي بنفسه في أحضان الأعداد (١٢٨)، أمسك بيد محسن (١٤٠).

(٧) المصاحبة:

التقت أصوات الرجال والنساء بصوت الأوركسترا (١٢٦)، كان ينبغي له أن يتريث ... قبل هذا الركض الجنوني بأمتعة (٥٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٨) القسم:

أخبرني بحق ربك ... (١٤)، أهذا بربك من الأسمنت المسلح؟ (١٦).

(٩) البيانية:

لم يكن بالضبط كابوسًا (١٣).

(١٠) بمعنى مِنْ:

امتلأت بماء المطر (٧).

(١١) بمعنى مع:

يرفق ذلك بصفحاتي هذه (١٢٤)، مشى به إلى ظهر صندوقه (١٤٠)، تسير به إلى خلوة (١٠٨).

(١٢) بمعنى عن:

حدثته النفس بالذهاب إلى الكونسير (١٢٠)، الرضا بما حدث (٥٨).

(١٣) الزائدة للتوكيد:

أ)بعد ليس: هذا ليس بالقليل (١٦)، جوارها شيء ليس بالقليل (٥٨)، ليس ببعيد أن يغضب (٥٨).

ب) بعد إذا الفجائية: ... وإذا الغناء ينتهي بصيحة ... (١٨).

ج) قبل (غير)، أولاً: ينبغي صاغرًا بغير أن يشعر (١٠)، أتريدين الأوليزية بغير موسيقى؟ (٤١)، لم يجب محسن بغير قوله (١٢).

د) بعد خليق/ جدير: ... خليق بأن يرفع مجد الغرب (١٤٣).

هـ) قبل التوكيد بالنفس والعين: كان يلحنها هو بنفسه (١٤)، أنه أناتول فرانس بعينه (٦١).

(١٤) الاحتواء أو التضمين:

والتضمين بالمعنى الذي يناسب البحث مصطلح بصري، يقابله مصطلح الحمل عند الكوفيين بعامة، والكسائي خاصة.

ويشير التضمين إلى تعدد المعاني الوظيفية للوحدة الصرفية، اسمية كانت مثل المشتقات، أم فعلية مصل صيغ الزوائد، أم حرفية، ويأتي في مقدمتها حروف الجر.

قرأت الكتاب بما فيه (٥٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثًا- حرف الجر حتى:

- انتهاء الغاية: بقيت هذه العقائد حتى اليوم (٦٥)، إنه حتى الآن لم ينجح (٣٤)، إلى أوربا حتى اليوم طفلة (١٤٢).

رابعًا- حرف الجر عدا:

وهي كل الأيام عدا اليوم الأول والثاني من كل شهر (٦٢).

خامسًا- حرف الجر (على):

(١) الاستعلاء:

أ) الحقيقي: سال على وجهه (٨)، نقر المطر على زجاج النافذة (١٧)، لم يوضع بعد على المائدة (٩٧).

ب) المجازي: نطلق عليهم هذا الاسم (١٨)، أمنت على قوله (٣٦).

(٢) المصاحبة:

أصوات الرهبان تعلو مرتلة الصلاة على أنغام الأرغن (٩).

(٣) التعليل:

استيقظ على صوت أندريه (١٤)، نهض، ...، على صوتٍ فاتنٍ يغني (٥٣)، يشكرها على عطفها الكريم (٧١).

(٤) الإلصاق:

تنشئ ولدها على العداوة (١٢)، تلاقى محسن وسوزي على مائدة الطعام (٩٨).

(٥) التوكيد:

سأل على الفور (٣٠)، أنشد على الفور (١٩).

(٦) بمعنى إلى:

تدخل السرور على نفسه (١٨)، أحلتها على الحجرة السفلى (٦٩).

(٧) بمعنى الباء:

لست أنت المقصود على أي حال (٤٠)، تلبس زي الغرب على غير نظام (١٤٥)، من كان مثلك على هذه الثقافة ... (١٣٠).

(٨) بمعنى عن:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أبطأ أندريه على صديقه (١٠)، قالوا عليكم كل كلمة شريرة (١٢٨).

(٩) بمعنى عند:

وقف على طابقك الرابع (١١٠).

(١٠) بمعنى في:

ودع المرأة على عجل (٥٢)، جعل يطالع على عجل هذه السطور (١٢١).

(١١) بمعنى اللام: صليت على روحه (١٥).

(١٢) بمعنى مع:

يشبون على الديلي اكسبريس، وعلى .. القصص البوليسية (١٣٤).

(١٣) البدل: تفضلين قتل الوقت بمطالعة المجلة على الحديث مع مثلي (١٠٢).

سادسًا- حرف الجر (عن):

(١) المجاوزة:

ابتعد عن النافذة (٧٤)، هي التي تخلت عنه (٧٩).

(٢) البدل:

حمل عنه العبء (١٢)، أجاب عن صديقه باسمًا (١٥)، أدت عنه الحساب (٧٠).

(٣) التعدية:

لم يبد على الفرنسي أنه فهم عن محسن (١٥)، تكشف لهم عن جمالها وأسرارها (٦٢).

(٤) بمعنى الباء:

غدا يخبرك أندريه عن سر هذا كله (٥٢)، تشير عن غير قصد إلى ماضيه (٢٠).

(٥) بمعنى في:

أفيد الغير عن رضا (١١٠).

(٦) بمعنى من:

أصبح بعيدًا عنك (١١٤)، الأصوات التي تصدر عنك (١١١)، يعزف عن بُعْدٍ (١٢٣).

(٧) التعليل:

لست أريد الإعجاب الناشئ عن آلاتنا المفكرة (١٣٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سابعًا- حرف الجر (في):

(١) الظرفية المكانية:

أ) الحقيقية: غرقت قبعته في الماء (٨)، وجده في فراشه (١٤٠)، قبع محسن في حجرته (١٠٣).

ب) المجازية: وضع أنفه في الرغام (١٢١)، إنما النجاة في الفضاء (١٣٨)، إنها في دمي (٢٠).

ج) المعنوية: محسن يعيش في ألمه (١٠٣)،المنفي -مثله- في مجاهل العزلة (٧٥)، ألقى بنفسه في أحضان الدين (١٣٧).

(٢) الظرفية الزمانية:

أ) الحقيقية: أعدمت في يوم كل علمائها حرقًا (١٣٥)، يسمع في الصباح عين الأغنية (١٠٣)، يدخنون في فترة الاستراحة (١٢٢).

ب) المجازية: حسبنا ما حصل في المرة السابقة (١٤٢).

ج) المعنوية: يرتعدون في شقائهم (٦٣).

(٣) زائدة للتوكيد:

هو دائمًا غاية في الرداءة (١٣٣)، صحة ايفانوفتش غاية في السوء (١٣٩).

(٤) التعليل:

أستأذنك في طرح القلم (١١٤)، إنك فيما أعلم لا تؤمن بشيء (١٢٧)، يتنافسون في إرضاء هذه الكتل الآدمية (٦٧).

(٥) بمعنى الباء:

ارتدى ثيابه في عناية (٨٩)، خضع لحكم القدر في شجاعة (١٢٤).

(٦) بمعنى عن:

قال فيهم المسيح: ... (٣٨)، ماذا تقول في ذلك؟ (٧٠)، سئل في ذلك فقال.. (٤٨).

(٧) الاستعلاء:

لم تضعها أوربا في قمة عمامتها (١٣٥)، يبسم زهر الكرز في أغصانه (١١٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[illegible] (١٤٣)، تركه في خيالاته (١٤٥)، فرح الأنفس التي تعيش

[illegible]

[illegible] الأصداف في أرجل البشر (١٣١)، في إحدى قدميه الحذاء (١٤٥).

[illegible]

[illegible] إليه بعينين متسعتين في لون الفيروز (١٠٥).

[illegible]- حرف الجر (الكاف):

[illegible]:

[illegible] كالغزال (٥٠)، لهم نفوس كالفراديس (٦٣).

[illegible]:

[illegible] تمظهر من مظاهر العبقرية (١٣٥)، التخلي عن ضميري كقاضٍ (٢٣).

[illegible]:

[illegible] روح المسيحية -كما نبعت في الشرق- هي المحبة (٦٦).

خامسًا- حرف الجر (اللام):

(١) الملك:

أ) الحقيقي: حتى تكون لك المتعتان (١١٠)، إني أشد استحقاقًا لعطفك (٨٢)، ليس لنا من مورد (٢٧).

ب) المجازي (شبه الملك): هذا باب جديد للنفقات (٢٦)، أوجد للإنسانية قارة جديدة (٧٨).

(٢) **الاستحقاق:** لي الشرف أن أكون كذلك (٥٥)، لك عندي ثمن ذلك (١٩)، إنه المثل الأعلى للجمال (١٠).

(٣) **الاختصاص:** كنت قد تخيلتها للجمال (١٠)، جو آخر له عبيره، وله نوره (١١)، طوبى لكم؛ إذ عيروكم (١٢٨).

(٤) **التعليل:** سيحضرون ... للعشاء (٢٥)، هلم معي لتشييع جنازة زوج ... (٩).

(٥) **الزائدة للتوكيد:**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أ)في أسلوب التعجب: ما أشد حبك للموسيقى (٢٠).

ب) لام التقوية: همس مرددًا كالمخاطب لنفسه (٧).

ت) النداء التعجبي: يا للكارثة! (١٢)، يا للسماء! (٢١).

(٦) **بمعنى إلى:**

انتبه محسن لهذه العبارة (٣٣).

(٧) **بمعنى في:** آدمي واحد ثبت لهذا المطر (٧).

(٨) **بمعنى من:** اكتشف لأول مرة وجه الإنجليزي الحقيقي (٢٤)، جرى لساعته إلى الفندق(٢٩).

(٩) **بمعنى عن:** لم يدرك سببًا لحدته (٢٩).

عاشرًا- حرف الجر (من):

(١) **ابتداء الغاية:**

أ)المكانية: مياه تدفق من الميازيب (٧)، يرجعان من المصنع (٢٢)، لفظ من فمه نواة(٨).

ب) الزمانية: يستيقظ من نومه (١٣)، مرت .. صور من ماضٍ بعيد (٧)، يطالع أفكارًا مختلفة من الإغريق إلى فولتير (٨٠).

(٢) **التبعيض:** إنه من أهل الميت (١١)، جانب آخر من الميدان (٧)، أغلبهم من الأمريكان (١٢).

(٣) **بيان الجنس:** خلقوا من الأسمنت المسلح (١٦)، طلب قدحًا من عصير البرتقال (١٣)، تقطع رغيفًا طويلاً من الخبز (٣٠).

(٤) **التعليل:** لا يدري من فرط اضطرابه.. (١١)، كان من الصدفة أن الجنود لم تلمحه (١٤)، رجع .. أحمر الوجه؛ من أثر تلك الصفعة (١٠٤).

(٥) **التعدية:** أصلح من شأنه على عجل (٩٠)، يجعل من جسدنا ليلاً ... (١٣٦)، استأذن من الحاضرين ... (٢٠).

(٦) **الزيادة للتوكيد:** يا لها من وحشية (٢٩)، ما من سبب ظاهر ... (١٩)، ليس لنا من مورد ... (٢٧)، ما من شيء يسترعي التفاته (١١٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٧) **الفصل والتمييز:** إنك أعقل مما كنت أتصور (٤٠).

(٨) **بمعنى عن:** طرح الكتاب من يده (٧٥).

(٩) **بمعنى الباء:** هو أحد المعجبين من غير شك (٤٠).

حادي عشر- منذ:

(١) ابتداء الغاية في الزمان الماضي:

لم أرها منذ أسبوع (٣٥)، انتهوا من العشاء منذ قليل (٣١)، منذ أن غادر المنزل (٦٩)، يتكلف الباهظ من المال منذ عام (٢٦)، نعم، منذ زمن طويل (٥٧)، صفحت عنها منذ أمد بعيد (١٢٤)، أنشدتها منذ شهرين (٢٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خاتمة البحث:

الموازنات والنتائج

اتضح مما سبق مدى الاتفاق، والاختلاف في استعمالات حروف الجر في اللغة العربية خلال رحلتها الطويلة من عربية الاحتجاج أو الاستشهاد إلى العربية الحديثة، ولاسيما عربية القرن العشرين، وتظهر مواطن الاتفاق في استمرار استعمال المشهور من حروف الجر، مثل: إلى، والباء، وعلى، وفي، ومن.

ومن ذلك أيضًا: استمرار اختصاص هذه الحروف بالدخول على الأسماء، وجرها، وربطها -نحويًا ووظيفيًا- بما يسبقها في الجملة من عناصر، اسمية كانت أم فعلية.

ومنها كذلك: استمرار دلالتها على معانيها الوظيفية الأساسية، أو الأصلية، واستمرار إفادتها كثيرًا من المعاني السياقية، أو التداولية.

ولعل من مظاهر الاستمرار أيضًا ان ما كان مستعملاً بكثرة في فصحى التراث أو الاحتجاج ظل مستعملاً بكثرة في العربية الحديثة، وما كان ميدان استعماله ضيقًا أو قليلاً ظل كذلك، مما يدل على احتفاظ العربية طوال عهودها بخصائص المحافظة، والثبات النسبي، واستمرار الاستعمال، بالإضافة إلى خصيصة الاتساع، وخصيصة الدقة والوضوح في التعبير عن المعاني الفرعية.

هذا عن مواطن الاتفاق، أما مواضع الاختلاف، أو الافتراق فتتضح فيما يلي:

١- اختفاء ما يقارب نصف الوارد من حروف الجر التي رصدها النحاة في عربية الاحتجاج؛ إذ لم يستعمل من هذه الحروف إلا عشرة، واختفى من الاستعمال عشرة، أو أحد عشر حرفًا.

٢- كثرة الاستعمال في الدلالات المجازية، والمعنوية، ولعل هذه الكثرة راجعة إلى التطور الحضاري، وتعبير اللغة عنه.

٣- كثرة الدلالات السياقية، أو التداولية التي تفيدها الحروف المستعملة؛ استجابة لتطور لغوي طبيعي ملخصه كثرة المعاني المستحدثة وتجددها، في مقابل (محدودية) اللغة، وقلة عناصرها التركيبية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هوامش البحث وتطبيقاته:

(١) يتضح هذا الأمر من خلال كثرة المعاني التداولية لكل حرف جر مستعمل في الرواية، ومن خلال التعدد والغموض لبعض الحروف، واحتمالية التعبير عن معنين فأكثر في السياق الواحد؛ مما يزكي الدلالة، ويكثف المعنى، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- خرج أندريه من المصل في استراحة الغداء (٦٩)؛ إذ يحتمل المعنى الحرف (من) هنا الدلالة المكانية، أو الزمانية، أو المصدرية الحديثة.

(٢) من أهم هذه الفروق اختفاء استعمال كثير من حروف الجر، مما كان واردًا في القديم، وسوف تعالج هذه المسألة في المحور الأول من البحث.

(٣) وضحت سمة (الاتساع)، وما تبعها من إمكانات العربية وطاقاتها التعبيرية في لجوء الكاتب إلى إنابة حرف مكان حرف آخر خشية التكرار، ودفعًا للملل والرتابة، ومن أمثلة ذلك:

- جاء الغلام فطلب إليه شريحة من لحم الثور (٦٢)، حيث استعمال الكاتب (إلى) بمعنى (من)؛ حتى لا يتكرر الحرف.

(٤) من مظاهر الفصاحة والعذوبة الرائقة في لغة الرواية عدم تخليها عن كثير من التراكيب التراثية مع قبولها العبارات الحديثة الفصيحة المستحسنة، ومن ذلك ما يلي:

- استعمال (زوج) بدون التاء؛ تأثرًا بلغة القرآن الكريم. انظر: (٢٦).
- استعمال (لما) الجازمة، وقد اختفت كثير من الاستعمالات الحديثة والمعاصرة. انظر: (٧٠).
- استعمال لام الطلب.

هذا عن الجانب التراثي الفصيح، أما الجانب الحديث المستحسن فمنه ما يلي:

- إن أكل العيش أصبح مهددًا.

(٥) الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، عالم الكتب الحديثة، مركز بحوث الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص٧٢.

(٦) ذكر النحاة من هذه الحروف سبعة، هي: منذ، مذ، حتى، رُبَّ، التاء، الكاف، الواو (انظر: شرح ابن عقيل:٣/٥-٦).

(٧) وهي (لولا) في رأي سيبويه (انظر: السابق:٣/٧).

(٨) منها التاء الخاصة بلفظ الجلالة، ومنذ، ومذ الجارتان لاسم الزمان (انظر: السابق:٣/٣١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١١) هي رَبْ (انظر: السابق:٣/١٢).

(١٢) لن يخوض البحث في الحديث عن نشأة التداولية، وتطورها ومراحلها، والموضوعات الأثيرة عند أصحاب كل مرحلة، بدءًا من (جون أوستن) و(جون سيرل) مرورًا بـ(بول جرايس) و(فاندر فكن) إلى من أتى بعد هؤلاء، .. لن يخوض البحث في ذلك؛ لعدم تعلق هذه المراحل كلها -بصفة أساسية- بحروف الجر، واستعمالاتها.

ويكتفي البحث بالتركيز على المرحلة الأولى، مرحلة النشأة في حضن (العلاماتية) أو السيموطوقا؛ لأنها تناسب الموضوع، كما ذكرنا كثيرًا.

(١٣) انظر ما كتبه الدكتور نعمان بو قرة، والمصادر التي رجع إليها من خلال بحثيه:

- الخطاب التداولي بين التراث والدراسات الغربية الحديثة، مركز بحوث كلية الآداب - جامعة الملك سعود، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ص١١-١٤.
- الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، عالم الكتب الحديثة، مركز بحوث الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٢م، ص٧٢.

وينكر بو قرة في البحث الأخير، ص٧٢:

أن "النحو يعنى بتوضيح الشروط المحددة، والقواعد التي تضمن صياغة الأقوال الجيدة، وتهتم الدلالة بالشروط التي تجعل الأقوال مفهومة، وقابلة للتفسير، بينما التداولية هي العلم الذي يعنى بالشروط اللازمة لكي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم".

(١٤) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ١٥/١، ونص كلامه: "وإن لم تدل [أي الكلمة] على معنى في نفسها، بل في غيرها، فهي الحرف"، وفي شرح المفصل (٢/٨): "كلمة تدل على معنى في غيرها".

(١٥) ومؤدى ما سبق عن المستوى النحوي، والمستوى الدلالي لحروف الجر أنها تؤدي دورًا مهمًا في التركيب؛ لأنها تربط بين الألفاظ، وتؤدي دورًا مهمًا كذلك في الدلالة؛ إذ يتوقف معناها على ذكر متعلقاتها.

(١٦) يأتي على رأس هؤلاء اللغويين أصحاب المعاجم، والمهتمون بالثروة اللفظية، ورواية اللغة، انظر: لسان العرب، لابن منظور، في مواد متفرقة منها: (ش.ر.ب)، (ر.ص.و)، (أ.ن.س)، (ح.س.ن)، (ح.م.د)، (س.ب.ق)، (و.ح.ي)، (و.س.س).

وانظر كذلك:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الصاحبي، لابن فارس: ٨٧، وبعدها.
- معاني القرآن، للفراء: ٢١٨/١.
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج: ٣٥٠/١-٣٥١.

ويوافقهم في رأيهم كثير من أهل التفسير، وأهل النحو الذين ركزوا على تجميع معاني الحروف، ودلالاتها، انظر:

- الجني الداني في حروف المعاني: ٤٣، وصفحات أخرى.
- رصف المباني: ١٦٢، وصفحات أخرى.
- مغني اللبيب: ١٥٠-١٥١، وصفحات أخرى.
- حروف المعاني، للزجاجي: ٢٩، وصفحات أخرى.
- الأزهية في علم الحروف: ٨٥، وصفحات أخرى.

وغير هؤلاء كثيرون، مما يرجح رأي الكوفيين، ويجعلهم مؤصلين للموضوع قبل الفكرة التداولية بقرون كثيرة.

(١٥) حول رأي البصريين، ومنعهم نيابة بعض الحروف عن بعض قياسًا؛ انظر: الخصائص: ٨٥/٢، أدب الكاتب: ٣٠٢، الاقتضاب: ٢٦٤/٢، الجني الداني: ٤٣، رصف المباني: ١٦٢.

(١٦) حول رأي الكوفيين، وقولهم بنيابة بعض الحروف عن بعض قياسًا؛ انظر: حاشية الصبان على الأشموني: ٢١٠/٢، الخصائص: ٢١١/٢، الاقتضاب في شرح أدب الكاتب: ٢٦٤/٢.

(١٧) هذا هو التقسيم الأساسي، والعام للكلمة والكلام، وهناك تقسيمات أخرى كثيرة تعود كلها إلى هذا التقسيم الثلاثي.

(١٨) انظر: شرح ابن عقيل: ٢٤/١.

(١٩) نص سيبويه صراحة على فكرة (الأصل) في الدلالة الوظيفية، كما ذكر أنه قد يتوسع في هذا الأصل إلى دلالات أخرى سياقية تداولية، تعود إليه، وتتصل به بسبب، أو بآخر، يقول: "باء الجر إنما هي للإلزاق والاختلاط، وذلك قولك: خرجت بزيد، ودخلت به ... فما اتسع من هذا الكلام فهذا أصله" (الكتاب: ٢١٧/٤)، ويذكر الفكرة نفسها مع (إلى) لابتداء الغاية، انظر: الكتاب: ٢٣١/٤.

ونص ابن هشام كذلك على الفكرة نفسها في أثناء حديثه عن (في)، يقول: "أما في فمعناها الظرفية والوعاء، نحو قولك: الماء في الكأس، وفلان في البيت، إنما المراد أن البيت قد حواه. وكذلك الكأس، .. هذا هو الأصل فيها، وقد يتوسع فيها فيقال: في فلان عيب ..." (مغني اللبيب ٢٩٦/١).

ويذكر ابن عقيل أن ما "يدل على انتهاء الغاية (إلى) و(حتى) و(اللام)؛ والأصل من هذ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثلاثة (إلى)؛ فلذلك تجر الآخر، وغيره .. " شرح ابن عقيل: ١٧/٣، ويقول عن إفادة (في) للظرفية: "وهو الكثير فيها"، السابق: ٢١/٣.

ولفظ (الكثرة) عبر به ابن عقيل عن إفادة بعض الحروف دلالات تعد أساسية لها، يقول: "تستعمل (على) للاستعلاء كثيرًا ..." ٢٣/٣.

ونفهم مما سبق أن فكرة (الأصل) في الدلالة الوظيفية كان معروفًا، ومنصوصًا عليه عند القدماء، وأن (الاتساع)، أو التجوز، أو الدلالة السياقية التداولية كان معروفًا كذلك، وقد عبر عنه بعضهم بالكثرة؛ ولعله كان (يلمّح) أو(يشير) إلى كثرة المعاني التداولية، والاتساع فيها مقارنة بالدلالة الوظيفية الأصلية.

(٢٠) يتضح الاختلاف في استعمال حروف الجر باختلاف المستوى اللغوي ما بين فصيح مشترك ولهجي خاص بقبيلة معينة من خلال الموازنة بين استعمال (من) و(في) و(على) الذي استمر طوال مراحل العربية، واستعمال (لعل) و(متى) الذي اختفى باختفاء الاستعمال اللهجي لكل من هذيل، وعقيل.

ويتضح الاختلاف في استعمال حروف الجر تبعًا لاختلاف طبيعة النص الذي ترد فيه هذه الحروف من خلال تأمل بعض الأمثلة الواردة في الحديث النبوي بدلالات ربما لا ترد في نصوص أخرى، منها: مجيء (اللام) بمعنى (عن) كثيرًا، حسب تفسير ابن حجر، مثل قوله -صلى الله عليه وسلم-: (قال للوزغ فويسق)، قال ابن حجر: اللام بمعنى عن [فتح الباري: ٢٩/٤]، ومن هذه الأمثلة: قوله -عليه السلام- للحسن بن علي: (ابن ابني هذا سيد، ...)، قال ابن حجر: اللام بمعنى عن [فتح الباري: ١٩٤/٥]، وانظر أحاديث نبوية أخرى، وردت فيها (اللام) بمعنى (عن) في (فتح الباري): ٣١١/٦، ١٠٩/٩.

ولعل أوضح مثال على الاختلاف باختلاف العصر استعمال (لولا) جارة للضمير المتصل في رأي سيبويه؛ فقد كانت قليلة الورود في عربية الاحتجاج، وشاع استعمالها الآن شيوعًا واضحًا. وقد يكون السبب في ذلك أيضًا اختلاف المستوى اللغوي، ومما يؤيد اجتماع سببين فأكثر في مسألة الورود والاختفاء لاستعمال حروف الجر؛ استعمال التاء جارة للقسم، إذ ورد استعمالها في القرآن الكريم، وفي نصوص تنتمي لعصر الاحتجاج، وندر استعمالها في نصوص العربية المعاصرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مصادر البحث ومراجعه:

أولاً: عصفور من الشرق، توفيق الحكيم، دار الشروق، القاهرة، ط٧، ٢٠١٤م.

ثانيًا:

- أدب الكاتب، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٩م.
- الأزهية في علم الحروف، لأبي الحسن الهروي، تحقيق: عبدالمعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، ط٢، ١٩٩٣م.
- الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، للبطليوسي، تحقيق: مصطفى السقا، وحامد عبدالمجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٨١م.
- الأمالي الشجرية، لابن الشجري، تحقيق: محمود الطباحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ.
- الجمل في النحو، للزجاجي، تحقيق: على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على الألفية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).
- حروف المعاني، للزجاجي، تحقيق: علي توفيق أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٦م.
- الخطاب التداولي بين التراث والدراسات الغربية الحديثة، نعمان بوقرة، مركز بحوث كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الخطاب التداولي ورهانات التأويل، نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط١، ٢٠١٢م.
- رصف المباني في حروف المعاني، للمالقي، تحقيق: سعيد صالح مصطفى، دار ابن خلدون، بيروت، (د.ت).
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ربن عقيل، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ١٩٨٠م.
- شرح المفصل، لابن يعيش، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٨هـ.
- الكامل في اللغة والأدب، أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت).
- الكتاب، لسيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، شرح وتعليق: عبدالجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد على حمدالله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner